وصايا الآباء للأبناء في سورة لقمان

٢٠٤ خاصة

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ
لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ
أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ
(١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ
خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى
مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ
فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- **المناسَبَة[1]:**

لمّا بيّن تعالى فساد اعتقاد المشركين، بسبب عنادهم وإشراكهم من لا يخلق شيئاً بمن هو خالق كل شيء، ذكر هنا وصايا «لقمان» الحكيم، وهي وصايا ثمينة في غاية الحكمة والدعوة إلى طريق الرشاد، وقد جاءت هذه الوصايا مبدوءةً بالتحذير من الشرك الذي هو أقبح الذنوب، وأعظم الجرائم عند الله.

- **اللغة:**

{الحكمة} الإصابة في القول العمل، وأصلها وضع الشيء في موضعه قال في اللسان: أحكم المر أتقنه ويُقال للرجل إذا كان حكيماً: قد أحكمته التجارب، والحكيم: المتقن للأمور .

{يَعِظُهُ} ينصحه ويذكره، والعظةُ والموعظة: النصح والإرشاد .

{وَهْناً} الوهْن: الضعف ومنه {وَهَنَ العظم مِنِّي} [مريم: ٤] أي ضعف.

{فِصَالُهُ} الفصال: الفطام وهو لفظ يستعمل في الرضاع خاصة، وأما الفصل فهو أعم، وفصلت المرأة ولدها أي فطمته وتركت إرضاعه.

{أَنَابَ} رجع، والمنيب الراجع إلى ربه بالتوبة والاستغفار .

{تُصَعِّرْ} الصَّعر: بفتحتين في الأصل داءٌ يصيب البعير فيلوي منه عنقه ثم استعمل في ميل العنق كبراً وافتخاراً قال عمرو التغلبي:

وكنّا إذا الجبّار صعَّر خدَّه أقمنا له من ميله فتقومَ

[1] هذا التفسير منقول من: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، ص٤٥١-٤٥٣

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

{مرحاً} فرحاً وبطراً وخيلاء.

{مختال} متبختر في مشيته.

{اقصد} توسّط، والقصد: التوسط بين الإسراع والبطء.

{اغضض} غضّ الصوت خفضه قال جرير:

فغضّ الطرف إنك من نمير   فلا كعباً بلغت ولا كلابا

- **التفسير:**

{ولقد آتينا لقمان الحكمة} أي والله لقد أعطينا لقمان الحكمة وهي الإصابة في القول، والسّداد في الرأي، والنطق بما يوافق الحق، قال مجاهد: الحكمة: الفقه والعقل، والإصابة في القول، ولم يكن نبياً إنما كان حكيماً .

{أنِ اشكر لله} أي وقلنا له: أشكر الله على إنعامه وإفضاله عليك حيث خصّك بالحكمة وجعلها على لسانك قال القرطبي: والصحيح الذي عليه الجمهور أن لقمان» كان حكيماً ولم يكن نبياً وفي الحديث «لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثير التفكر، حسن اليقين، أحبّ الله تعالى فأحبّه، فمنّ عليه بالحكمة»

{ومن يشكُرْ فإنّما يشكُرُ لنفسِه} أي ومن يشكر ربه فثواب شكره راجع لنفسه، وفائدته إنما تعود عليه، لن الله تعالى لا ينفعه شكر من شكر، ولا يضره كفر من كفر ولهذا قال بعده:

{ومن كفر فإنّ الله غنيٌّ حميدٌ} أي ومن جحد نعمة الله فإنما أساء إلى نفسه، لأن الله مستغنٍ عن العباد، محمودٌ على كل حال، مستحقٌ للحمد لذاته وصفاته

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال الرازي: المعنى أن الله غير محتاج إلى شكر حتى يتضرر بكفر الكافر، فهو في نفسه محمود سواء شكره الناس أم لم يشكروه.

ثم ذكر تعالى بعض نصائح لقمان لابنه وبدأ بالتحذير له من الشرك، الذي هو نهاية القبح والشناعة فقال:

{وإذْ قالَ لُقمانُ لابْنِهِ وهُوَ يَعِظُهُ يابُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللهِ} أي واذكر لقومك موعظة لقمان الحكيم لولده، حين قال له واعظاً ناصحاً مرشداً: يا بني كن عاقلاً ولا تشرك بالله أحداً، بشراً أو صنماً أو ولداً **{إنّ الشرك لَظُلْمٌ عظيمٌ}** أي إن الشرك قبيح، وظلم صارخ لأنه وضعٌ للشيء في غير موضعه، فمن سوّى بين الخالق والمخلوق، وبين الإله والصنم فهو - بلا شك - أحمق الناس، وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة، وحري به أن يوصف بالظلم ويجعل في عداد البهائم.

{ووصّيْنا الإنسانَ بوالديْهِ} أي أمرناه بالإحسان إليهما لا سيما الوالدة.

{حملتْهُ أمُّهُ وهْناً على وهْنٍ} أي حملته جنيناً في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفاً على ضعف، من حين الحمل إلى حين الولادة، لأن الحمل كلما ازداد وعظم، ازدادت به ثقلاً وضعفاً .

{وفِصالُهُ في عامَيْنِ} أي وفطامه في تمام عامين.

{أنِ اشكرْ لي ولوالديْكَ} أي وقلنا له: اشكر ربك على نعمة الإيمان والإحسان، واشكر والديك على نعمة التربية {إليّ المصير} أي إليّ المرجع والمآب فأجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته قال ابن جزي: وقوله {أنِ اشكر} تفسيرٌ للوصية، واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله {حملتْهُ أمُّهُ وهْناً على وهْنٍ}

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفصاله في عامين} ليبيّن ما تكابده الأم بالولد مما يوجب عظيم حقها، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب.

{وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما} أي وإن بذلا جهدهما، وأقصى ما في وسعهما، ليحملاك على الكفر والإشراك بالله فلا تطعهما، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق {وصاحبهما في الدنيا معروفا} أي وصاحبهما في الحياة الدنيا بالمعروف والإحسان إليهما - ولو كان مشركين - لأن كفرهما بالله لا يستدعي ضياع المتاعب التي تحمّلاها في تربية الولد، ولا الشكر بالجميل {واتبع سبيل من أناب إليّ} أي واسلك طريق من رجع إلى الله بالتوحيد والطاعة والعمل الصالح {ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون} أي مرجع الخلق إلى الله فيجازيهم على أعمالهم، والحكمةُ من ذكر الوصية بالوالدين - ضمن وصايا لقمان - تأكيد ما أفادته الآية الأولى من تقبيح أمر الشرك {إنّ الشرك لظلم عظيم} فكأنه تعالى يقول: مع أننا وصينا الإنسان بوالديه، وأمرناه بالإحسان إليهما والعطف عليهما، وألزمناه طاعتهما بسبب حقهما العظيم عليه، مع كل هذا فقد نهيناه عن طاعتهما في حالة الشرك والعصيان، لأن الإشراك بالله من أعظم الذنوب، وهو في نهاية القبح والشناعة.

ثم رجع الكلام إلى وصايا لقمان فقال تعالى {يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل} أي يا ولدي إن الخطيئة والمعصية مهما كانت صغيرة حتى ولو كانت وزن حبة الخردل في الصغر {فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله} أي فتكن تلك السيئة - مع كونها في أقصى غايات الصغر - في أخفى مكان أحرزه، كجوف الصخرة الصماء، أو في أعلى مكان في السماء أو الأرض يحضرها الله سبحانه ويحاسب عليه، والغرض التمثيل بأن الله لا ... {إنّ الله لطيف خبير} أي هو سبحانه لطيف